

التربية وجودة الحياة في الأسرة على ضوء نظرية التدفق النفسي

أ.د/ سجالماسى محمد الامين¹*

¹جامعة تلمسان

تاريخ الارسال : 2021/01/19 تاريخ القبول: 2021/02/02

الملخص:

يحاول الباحث في هذه الورقة تحديد العلاقة الموجودة بين جودة الحياة الأسرية وإمكانية إحداث التدفق النفسي (le Flux psychique) في السلوك المدرسي لدى الطفل. كيف يتعلم الطفل في الأسرة استغلال موارده النفسية لإحداث التدفق النفسي؟ كيف تسمح تربية الطفل في الأسرة على تحقيق التكيف النفسي المتكامل (L'adaptation eudémonique)؟ والذي يسمح بإحداث التدفق النفسي، وتحقيق الجودة في الحياة النفسية للفرد؟ نجد إجابة على هذه الأسئلة في هذه الورقة. الكلمات المفتاحية: التربية - وجود الحياة - الأسرة - نظرية التدفق النفسي

المقدمة:

إن تبيس العضلات لدى الماهر في الرياضة، وشيء من الإحساس بالألم من ذلك، عند استعادة التمارين الرياضية بعد مدة توقف طويلة، هو شيء لا مفر منه. لكن ألم العضلات هذا، وكذا الإحساس به لدى الممارس للرياضة، هل يدوم طويلا؟ طبعا الجواب الصحيح على هذا السؤال يكون بلا، بل إن الإحساس بالألم هذا، قد يكون فيه خير للجسم، لأنه يمكّن مدرب هذا الرياضي الماهر على ضبط مستوى الجهد المطلوب الذي يستوجب فرضه على الرياضي لاحقا في أثناء التدريبات، وحتى يتحقق لدى

* المؤلف المرسل: أ.د/ سجالماسى محمد الامين

الرياضي الارتقاء المطلوب في الكفاءات الرياضية المقصودة. ألا يمثل ذلك ما هو منتظر بالفعل من بذل الجهد في الممارسة الرياضية البطولية؟

إن الأمر في هذا هنا يخص جسم الإنسان. وعلى غرار ما يحدث لجسم الرياضي الماهر للوصول إلى اللياقة البدنية المطلوبة، من بذل الجهد في التدريب للوصول إلى هدف ما، فما هي الحكاية حين يتعلق الأمر بالموارد النفسية للإنسان؟ كيف يمكن أن يستغل الفرد موارده النفسية أحسن استغلال حتى يحقق الإحساس بالسعادة؟ ومع تحقيق المراد والتماس المقاصد المعهودة في الحياة؟ كيف يضمن الإنسان لنفسه جودة عالية لحياته الداخلية مع تحقيقه للمراد في الحياة؟

إن هذه هي قضية ما يسميه أحد علماء النفس الإيجابيون "ليوبوميرسكي (2011) Lyubomirsky بقضية "التكيف النفسي المتكامل" (l'Adaptation eudémonique). إنه التكيف الذي يضمن للفرد جودة حياة عالية ومُسعدة في الوجدان وفي السلوك. السؤال الإجرائي الوجيه في قضية التدفق النفسي يتمثل في التعرف بالأول على الخصائص النوعية المميزة لهذا النوع من التكيف. بماذا يتميز إذا التكيف النفسي المتكامل عن طرق التكيف الأخرى؟ كيف يبرز في حياة الفرد؟ ما هي شروط تحقيقه في الحياة الخارجية للفرد، وفي حياته الداخلية؟ وما علاقة التكيف النفسي المتكامل بجودة حياة الفرد مع نفسه، في الأسرة، في المدرسة، وفي المجتمع؟ هذا ما نريد فحصه بشيء من التفصيل في هذه الورقة.

1. التكيف النفسي المتكامل: (l'adaptation eudémonique)

يسعى الفرد في حياته إلى أن يكون له شأن ومصير، على ما يجهد فيه من عمل لتحقيق ما يطمح إليه، ولكي يسعد في الحياة، وهذا هو الطبيعي لدى الكائن الحي البشري. نعم، قد يستطيع الإنسان الوصول إلى ما يصبوا إليه، لكن ليس إلا بعد دفعه للثمن. نعم، الثمن هو، ولا شك، أنه مر من قبل في حياته على محطات ذاق فيها مرارة الفشل المتكرر، ولم يحقق فيها المراد. نعم، الثمن هو صبر طويل وعريض، ثم عرف بعده الفرد الصابر محطات في حياته حقق فيها النجاحات، وأنجز وعمر. نعم، إلا أن الناس ليسوا سواسية كأسنان المشط أمام الموصوف من أمر القضية. نعم، لأن هنالك من الناس من يسقط لا محال، ونهائياً، أمام الفشل، ويريد مع الفشل ربما حتى الاختفاء نهائياً من على وجه الأرض، لأنه عرف

الفشل في حياته، وعلم من جراء ذلك، بعدم قدرته على مواجهة واقع أمر الفشل. نعم، ولكن نعود لنذكر الصنف الآخر من الناس، الصنف الذي يحرص ويثابر ويمهل، الذين تراهم ينهضون من جديد، بعد الفشل مرات ومرات، وهم عازمون، أكثر فأكثر، على مواجهة الموقف، وفي كل الأحوال، يعتبرون أن الطريق في الحياة يكون دوما مليء بالعقبات، وهذا من الطبيعي عندهم، فيصرون على تجديد رفع التحدي باستمرار، ويتقدمون بلا هوادة إلى الأمام لتحقيق المراد. لقد علم هذا الصنف من الناس، من تجربتهم في الحياة، أن فشعية النصر، أو كربة الانهزام، تضمحل لا محال، ووقت الحدوث لفشعية النصر أو كربة الانهزام قصير لا محال، ولقد أدركوا مع ذلك، أن التكيف الحقيقي هو ذلك التكيف المتوازن، أي التكيف الذي يصبح الفرد فيه مقتدرا على أن يتكيف مع التجارب الإيجابية والتجارب السلبية في حياته، من دون أن يفقد توازنه النفسي. لا شك أن التجارب السلبية في الحياة تؤثر سلبا على جودة الحياة النفسية للفرد (لوكاس Lucas، 2007)، والأمر عكسي بالنسبة للتجارب الإيجابية طبعاً، إلا أن ما يمكن الفرد من بناء شخصية حريضة على أن تتعلم كيف تحقق "التكيف النفسي المتكامل" (L'adaptation Eudémonique) في حياتها، إنه الطريق نحو الجودة وتحقيق السعادة النفسية في الحياة، وهذا ما يريد أن يُعد إليه أنصار علم النفس الإيجابي، الذين أسسوا لنظرية التدفق النفسي، في تفسيرهم لإمكانية فتح الطريق للإنسان لتحقيق الجودة النفسية.

2. ما قضية علم النفس الإيجابي في تحقيق السعادة النفسية للإنسان؟

يعتمد علم النفس الإيجابي على الفكرة أن علم النفس الكلاسيكي (علم الأمراض النفسية) يهتم أساساً بالبحث عن تخفيض ظهور الاضطرابات النفسية لدى الفرد، في حين أن علم النفس الإيجابي إنما يريد أن يبحث أكثر في طرق الوصول إلى تحقيق السعادة في الحياة (سيلينغمان Seligman، 2002). إن الفرق بينهما شاسع، على لسان "سيلينغمان"، في اعتبار عالم النفس لبناء تصوره لمفهوم الخدمة النفسية وتوفيرها للإنسان. يعتبر "سيلينغمان" أن محاولة إخفاء المرض النفسي، لا يجب أن يقف عندها عالم النفس في مساعدته للإنسان المريض نفسياً، بل يوجد ما هو أهم من ذلك، ويجب أن تحتوي عليه مهمة عالم النفس، وهو وجوب توفير المساعدة النفسية التي تتسع نحو فتح طرق لتحقيق السعادة النفسية في الحياة.

3. نظرية التدفق النفسي (La Théorie du Flow Psychique):

يمثل "التدفق النفسي" (Le Flow Psychique) حالة انفعالية يكون فيها الفرد، تتدفق فيها الطاقة النفسية بصورة عالية، وهو يقوم بنشاط معين. إنه حالة أداء كفائي حقيقي ومتكامل من كل جوانبه الوجدانية والسلوكية، يعيشها الإنسان في حياته الشخصية (مع نفسه) أو العلائقية (مع الآخرين في الأسرة، أو في الوسط المهني، أو الاجتماعي عموماً). لا يختلف اثنان في القول أن أحسن أوقات العيش في حياة الإنسان، ليست تلك التي تتصف بالحمول والراحة البائدة، أو التي يكون فيها الإنسان في متعة من إحساسه باللذة الآنية، مكتفياً بالبحث عن "التكيف الخالص للمتعة" (L'adaptation Hédonique). بل العيش الحسن يتمثل في قضاء الأوقات التي ينشط فيها جسم الإنسان وعقله، وهذا الأخير، هو منغمس في بذل أقصى الجهد، وتحت إرادة قوية، من أجل أن ينجز شيء صعب ومهم في الحياة.

إن العناصر الظاهرية للتدفق النفسي (La phénoménologie du Flow) تتسع إلى مجموعة من الخاصيات، يجب أن تتوفر في الموقف الأدائي للسلوك، ولكي يتم إحداث التدفق النفسي في نشاط الفرد. يشترط حدوث التدفق النفسي أن تتوفر في نشاط الفرد عوامل نفسية سلوكية تتمثل في الحرص على بلوغ درجة العبقرية في الأداء النفسي السلوكي، مع وجوب التحدي في التعبير عنها في الحياة. كما يجب أن تتوفر أيضاً لدى الفرد القدرة العالية على التركيز، مع وجود الرغبة القوية لاستخدامه. وكذلك الوضوح التام للمقاصد في كل ظرفية من الحياة. ويجب أن يكون الفرد أيضاً دائماً في حرص على التنشيط العالي للتفكير الرجعي، وغياب إمكانية تشتت الفكر لديه، مع وجود القدرة العقلية لمراقبة النشاط السلوكي. كما أنه لا يبالي بنفسه وهو منغمس في النشاط، وهو فاقد الشعور بالذات مؤقتاً. يتوقف إحساسه بالوقت وهو يقوم بالمهمة. نعم، حينما يتحقق التدفق النفسي، من وجود هذه العناصر في نشاط الفرد، تتحقق الصحة الانفعالية المطلوبة، وهذا ما يفتح المجال لإمكانية تحقيق الجودة النفسية في الحياة.

4- جودة حياة الأسرة وأنماط التربية:

تعد الأسرة من المؤسسات الاجتماعية الأولى أين يتشكل فيها السلوك السوي للطفل. إنها تمثل الجماعة الأولى التي يعرف في حضنها الطفل الحنان والثقافة والقيم، فيتدارك من نواتج التربية الأسرية، هذا الأخير، ما له من حقوق، وما عليه من واجبات (برينو دوفونش Bruno Devauchelle، 2003). لهذا يعتبر علماء النفس وخبراء التربية أن للأسرة أثر هائل في النمو النفسي للطفل. فإما أن يكون نمو نفسيا سليما، فيبني بذلك الطفل سمات الشخصية السوية، فيقترب مع ذلك جودة الحياة السعيدة، وإما أن يجد في حياته أسرة مضطربة المعالم والسلوك، فتكون له بلا شك أرض خصبة لانحراف السلوك واضطراب الشخصية (قوسطاف، فيشر Gustave, Ficher، 2003).

لا داعي للتأكيد على أن نمط التنشئة الاجتماعية الأسرية له دور لا محال في ما يلقنه الطفل من قيم ومعايير حول السلوك السوي من عدمه، وأصل القضية يتمثل في نمط المعاملة مع الطفل بداخل الأسرة، وما يتهيأ له بواسطتها للعيش والتفاعل خارج الأسرة (اسيا بنت علي راجح بركات، 2000).

إن الأنماط السلبية للتنشئة الاجتماعية الأسرية متعددة المشارب، وكذا النتيجة السلبية لها. إن نمط التسلط وطريقة فرض الرأي في التربية ينفي تبني الطفل لذاته، ويجعله يعتقد خطأ، أن بناء الشخصية لا يجب أن يتعدى دائرة التبعية المغلقة للانتماء الأسري. وقد ينحرف سلوك الطفل في جو هذا النمط التربوي، عن نطاق السوية، من عنف التسلط على الذات، ويكون ذلك من خطر الإحباط رفيع الدرجة، الذي يحدث لا محال في إطار هذا النوع من أساليب التربية. هنالك أسلوب تربوي آخر عواقبه تكون وخيمة على الطفل. كثيرا ما يصيب الوالدين حب أعمى للولد إذا لم يتخذوا الحيطة من خطورته على الطفل. إنه يولد أسلوب الحماية الزائدة في التربية، فيترتب عنه لدى الطفل تغييب إرادة البحث عن الاستقلال بالنفس، فيصير نمو بشخصية ضعيفة، تعتمد التبعية لغيرها في كل شيء، فتتناقص باستمرار لدى الطفل القدرة على تحمل الإحباط، وترتفع نسبة توقع اضطراب السلوك لديه، وكذا العلاقات الاجتماعية (الحميدي، الضيضان، 2005). إن الخطر على الطفل في التربية يمكن أن يأتي أيضا من أسلوب التربية العفوية، التي لا تضع للحركة التربوية أسسا ولا قواعد أولية ثابتة. تعرف الحركة التربوية، في هذا الأسلوب التربوي، كثيرا من التذبذب في المعاملة، فيلجأ الوالد، أو الأم، إلى شيء من القسوة المفرطة، بعد حين، عرف فيه الطفل سهولة مفرطة في التعامل،

أو العكس. إن ذلك يفتح على الطفل، على مصراعيه، باب خطر تفكك الشخصية، وعدم الاستقرار النفسي، وقد يترتب عن ذلك أيضا ظهور سلوك التمرد لدى الطفل (أحمد محمد الزغبى 2005). إن الخطر على الطفل في التربية يأتي أيضا من غياب الانسجام الأسري وتفكك الأسرة (لومبوي Lomboy، 2005)، وحتى من حجم الأسرة وثقافة التنشئة الأسرية لأفرادها المتمثلة في الوالدين، على وجه الخصوص، في المجتمع العربي (طه عبد العظيم حسين، 2007). لقد أتى على بعض الدراسات للأسرة العربية أن التشجيع للطفل وارد على ممارسة العنف والقسوة في التعامل مع الناس، بحجة أن الطبيعة قاسية، ويجب تهئية الطفل لمواجهة القسوة بالقسوة، حتى يستقيم حاله مع الناس (عامر بن شايح بن محمد البشري، 2004).

5- جودة حياة الأسرة والمدرسة وبناء تقدير الذات لدى الطفل:

إن الأسرة إذا هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يتعرع فيها الطفل اجتماعيا، ويتزود فيها بما يحتاج إليه كيانه من قيم ومعايير ونماذج لكي يتحول إلى كائن اجتماعي لديه هدف في الحياة. وبما أن الأسرة هي التي تشرف على النمو النفسي للطفل، فإنها تؤثر لا محال في تقديره لذاته (حامد زهران، 1997).

كما أن المؤسسة الاجتماعية الثانية، وهي المدرسة، لها دور بارز في إكمال ما بدأت به الأسرة تجاه الطفل. فمهمتها التربوية الضخمة تساعد على التأثير الإيجابي في بناء تقدير الذات (حامد زهران، 1994).

يقول "كويليام (من عبد ربه علي شعبان، 2010) أن الفرد الذي يبني تقدير ذات متدني عن نفسه، يكون سببه التأثير السلبي للأسرة أو المعلم (الحرمان العاطفي، اللامبالاة في التعامل التربوي، الإفراط في الحرص، سوء المعاملة...). وكذلك الفرد الذي لديه تقدير ذات إيجابي عن نفسه، يكون أيضا من تأثير الأسرة أو المعلم (التواصل التربوي، الاستجابة لمطالب النمو الوجدانية والمعرفية...).

6- كيف يتعلم الطفل تقييم فديته الذاتية نحو الحرص على التدفق النفسي في السلوك ؟

إن المفهوم اللغوي لتقدير الذات يشير إلى مفهوم القيمة، وهي ترجمة لكلمة لاتينية المنبع هي كلمة « estimate »، وتعني "إعطاء قيمة لشيء". كيف يمكن للطفل أن يبني كيانا لنفسه إذا لم

يتعلم كيف يتعرف على نفسه وعلى مرجعية نظام القيم ونماذج حياة الكائنات الإنسانية الموجودة من حوله؟ يبدأ البناء للذات الإنسانية بعملية التقدير التي تحوي مفاهيم متعددة الأبعاد، متكاملة فيما بينها، لتتحقق المغزى الرئيسي في عملية التقدير، وهو التعرف على القيمة الذاتية لفردية كل إنسان يطمح أن يكون لنفسه كيانا يتميز بوجوده عن وجود الآخرين. إن التعرف على القيمة الذاتية لفردية الإنسان يمثل محاولة تقييم الفرد لذاته (سينج، 2005)، فيتكون لديه شعور امتلاك مجموعة من كفاءات ذاتية. إن شعور النفس بوجود محصلة من الكفاءات الذاتية ينمي شعور الثقة بالنفس والقدرة على التكيف ومواجهة الصعاب. كما أن التقييم الذاتي للنفس البشرية يضم عملية التقدير التي هي تقييم الفرد لذاته بنفسه (كوبر سميث، 1967)، وتعني أيضا حرص الفرد على أن يعمل من أجل الحفاظ على ما هو عليه من رشد عقلي ونفسي وقيمي. إن حكم الفرد على نفسه بما هي عليه من قدرات وكفاءات ونجاحات وأيضا حدود ما هي عليه وما يمكن أن ترتقي إليه من المعرفة بالإمكانات واستخدام الوسائل، جل هذه العناصر تعبر عن اتجاهات الفرد نحو نفسه، وعن خبرته الذاتية، و تدخل في نطاق عملية تقدير الذات. إن التقدير الإجرائي للذات هو ما يضم السلف من القول، وتمخض عنه الخبرة الذاتية التي هي وعي حقيقي بالنفس ورؤية بنائية عما تمثله حقيقة نفسية الفرد، وهي بعيدة كل البعد عما قد يغفلوا فيه الفرد عن نفسه في تقديره لذاته (عبد الوهاب كامل، 1989). إن التقدير الإجرائي للذات يقصي تعالي الفرد لذاته، كما يقصي الخط من قدرها وعدم إعطاء حقها، فينحدر الفرد نحو الدونية والإحساس بالنقص (أكرم رضا، 2007)، فينجر عن ذلك إهمال حق الذات في الوجود، وإقصائها من حظيرة بناء الفردية الذاتية لوجود الإنسان. ويجب الإشارة مع ذلك إلى أن تقدير الذات هو عملية معرفية إدراكية وحسية ووجدانية، ويرتقي تصور الفرد لذاته باستمرار، من الذات الموجودة إلى الذات المرغوبة (روزنبرغ، 1979)، ولا ينتهي بناء تصور الفرد لذاته وتقديرها عند حدود المجال الطبيعي الموضوعي، بل يتعداه ليصبح عالم الخبرة الذاتية للفرد من مستوى العالم الظاهراتي، أي عالم ما يمكن أن يحدث ولو لم يحدث بعد، ولم يخرج بعد عن نطاق عمل مخيلة الإنسان، المخيلة ذات القدرة الفائقة (رودجرس من أحمد أبو زيد، 1987).

7- المشوار النمائي لبناء تقدير الذات عند الطفل في تربيته على إحداث التدفق النفسي في

السلوك:

يبدأ الطفل تقدير ذاته وبناء مشاعر أولية حول ذاته في الأسبوع السادس من الولادة (ريزوتر، التاريخ)، فتتشكل لديه ردود أفعال انفعالية تواصلية وفقا للكيفية التي يتعامل بها معه الوسط الاجتماعي، وذلك في إطار قضاء حاجياته النمائية الجسمية والنفسية والاجتماعية. كما أن بناء تقدير الذات يكون متفاوتا من طفل لآخر في كل مرحلة من مراحل النمو، تبعا لدرجة نجاح عملية التكيف للطفل، وتبعا كذلك لكيفية استجابة الأشخاص المهمين في عين الطفل والمهتمين به لقضاء حاجياته النمائية. كما يمكن اعتبار أن بناء مفهوم الذات الإيجابي هو نتيجة تلقي الطفل الحب والحنان غير المشروط، ويجب أن يظهر ذلك للطفل في سلوكيات المعاملة الاجتماعية، فينشأ لديه الإدراك الإيجابي للذات، وبناء الثقة بالنفس، والإحساس الموضوعي بالرضا عنها (عبد ربه علي شعبان، 2010).

8- ماذا يجلب بناء تقدير الذات للطفل؟

إن الانطلاقة في بناء تقدير الذات عند الطفل تهدف إلى إعطاء الإنسان متانة اجتماعية لفرديته الذاتية. وتحقيق هذا الهدف في حياة الإنسان يولد الإحساس بالهوية الشخصية للطفل مع الشعور بالأمن والثقة بالنفس. ويرجع تحقيق ذلك لا محالة إلى التغذية الراجعة التي يتلقاها الطفل من بيئته الاجتماعية (رافيني، 1993). كما أن للتغذية الراجعة دور في توليد القدرة لدى الطفل على أن يفكر في حياته لكي تكون عنده رؤية واضحة من أجل بناء مشروع الحياة، تحديد أهداف، وتحقيق نجاحات مصيرية من وجوده في العالم. وهذا ما يجعل الطفل يشعر بمتعة الانتمائية الاجتماعية، كما يتولد لديه أيضا الشعور بالكفاءة والقيمة والأهمية الذاتية لنفسه ومن غيره (فيلكير، 1984). كل ذلك يحول الطفل، وهو يسير في مشواره النمائي، إلى أن يبحث عن حياة ذات جودة، ويكون له فيها مشروع حياتي ينتظر منه التحقيق، ويكون مليء بالإنجازات والنجاحات.

9- عوامل إحداث التدفق النفسي في السلوك الدراسي لدى الطفل من تأثير جودة الحياة

الأسرية:

إن عملية التحصيل الدراسي هي عملية فردية ذاتية تتوقف على مدى اكتساب المتعلم لمهارات التعلم، وعلى مدى استيعاب المتعلم للمعلومات المدرسية المقررة. إنها تمثل القدرة على أداء المهمة المدرسية (كمال دسوقي، 2004)، أو هي مجموعة من مهارات التحصيل المعرفي، كما تمثل أيضا مقدار المعرفة

التي تحصل عليها المتعلم من التدريب على التعلم والمرور بخبرات النجاح المدرسي (عبد الرحمان عيساوي، 1984). ويضيف "فاخر عاقل" (1972) مواصفات ثمينة أخرى للتحصيل الدراسي حينما يعرفه بأنه إمكانية واستعداد، تولّد مهارات من جهة، وتعلم نشط يحقق الإنجاز المعرفي من جهة أخرى. إن تعريف "فاخر عاقل" (1972) للتحصيل الدراسي يفتح باب الحديث عن العوامل التي هي من وراء إحداث التدفق النفسي في السلوك المدرسي عند الطفل. يولد الإنسان مزود بالاستعدادات والإمكانات، ولكن يحتاج الاستعداد والإمكانية إلى عوامل نفسية معرفية وجدانية، تحرك سلوك التعلم الإرادي، لكي يتحول مع التدريب إلى مهارات التعلم. إلا أن مهارات التعلم النفسية الداخلية المصدر تحتاج إلى عوامل اجتماعية - أسرية ومدرسية - خارجية المصدر، تحفز على التعلم النشط لتحقيق الإنجاز المدرسي. إن العوامل النفسية الداخلية تقترن بالعوامل الاجتماعية الخارجية ليتم إحداث التدفق النفسي في السلوك الدراسي لدى الطفل.

10- معالم التدفق النفسي في السلوك المدرسي لدى الطفل:

استوجبت المتطلبات المنهجية لهذه الدراسة، الاقتراب من مجموعة من الأطفال، يتمدرسون في أحد المدارس الابتدائية الجزائرية، من مدينة تلمسان، عددهم يناهز الستين طفلاً، وعمرهم عشرة إلى اثنا عشر سنة. تم تشكيل مجموعتين على أساس المعدل الدراسي للسنة المدرسية، مجموعة التلاميذ أقوياء السلوك المدرسي، الذين تحصلوا على معدل دراسي بدرجة 20/15 فأكثر، ومجموعة منخفضي السلوك المدرسي، والذين تحصلوا على معدل بدرجة 20/9 فأقل.

ومن دراستنا لعلاقة التدفق النفسي ومستوى الأداء المدرسي، تبين من نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباط وطيدة بين الاستعداد للتدفق النفسي لدى التلميذ في الموقف التعليمي ومستوى أدائه في المدرسة. 68% من التلاميذ المتفوقين دراسياً (معدل 20/15 فأكثر) أظهروا استعدادهم المرتفع للتدفق النفسي في الموقف التعليمي، بينما لا تتعدى هذه النسبة 17% لدى التلاميذ الضعفاء (معدل 20/9 فأقل).

يترجم التلميذ المتفوق تدفقه النفسي في السلوك المدرسي، في قابليته العالية على اتخاذ القرار في المواقف المدرسية، وبدون مشقة أو ارتداد، لا تختلط عليه الأشياء وهو يقوم بالمهمة التعليمية، يحتفظ بالرأي الإيجابي والمرتفع القيمة عن نفسه في كل الأحوال، لا يشعر بالضيق ولا بالملل في الموقف الشديد،

إحساسه بالضغط النفسي المدرسي إيجابي، ويرفع من مردوديته في الأداء المدرسي، سواء من حيث المقاومة أو في الإنجاز، لا يأبى كثيرا بمرور الوقت في نشاطه المدرسي، لا يُنقص من حرصه على التركيز أكثر في الموقف التعلّمي العصيب، لا يستسلم بسهولة إلى أمر الواقع، يظهر دائما منشغلا بما ينتظره من نفسه والآخرين من القرابة، اعتماده على نفسه دوما في زيادة.

أما التلميذ الضعيف دراسيا، كثيرا ما يصعب عليه الكلام في الصف إذا لزم الحال لطلب المساعدة، يرغب أن يغير أشياء كثيرة تخصه في حياته، لكن يشدّ نفسه عليها بإقرار عدم الاستطاعة على التغيير في شيء، وذلك من عدم التحضير وتهيئة النفس، لم يعود نفسه التعامل مع الشيء الجديد، ويستغرق وقتا كبيرا مع الأشياء الجديدة في التعليم، مدة المهمات التعلّمية طويلة من دون حدود، وإذا أقر بالاجتهاد في عملية التعلم، ويطول عليه الزمن، ليس له الخيار سوى الاستسلام لأمر الواقع المدعي للفشل، تبيّن للرأي عن نفسه متدني، وكثيرا ما يشعر بالضغط النفسي السلي في المدرسة، فيصير في تعامله مع الموقف التعلّمي، حبيس دفاعاته النفسية السلبية الانفعالية، كالقول أمام الفشل، بأن الآخرين هم المسؤولون عن ضعف مستواه المدرسي، ثقته بنفسه متدنية، ولا يشعر بالتحفيز، داخليا كان (الدافعية الذاتية) أم خارجيا (الشعور بتحفيز الوالدين واعتمادهم عليه في التعلم).

11- معالم جودة حياة الأسرة في علاقتها بالتربية على إحداث التدفق النفسي في

السلوك المدرسي للطفل:

إن البحوث التي أقيمت لدراسة تأثير أساليب التربية على التنشئة الاجتماعية للطفل، في الأسرة والمدرسة، وكذلك البحوث التي درست أنماط تعامل الطفل مع الضغط النفسي الأسري والمدرسي، بينت وجود علاقة وطيدة بين العمق الثقافي لأنماط التعامل التربوي مع الطفل في الأسرة والمدرسة ومصير التلميذ التربوي (لطفي عبد الباسط إبراهيم، 2004).

كما أظهرت نتائج دراسة الضغط النفسي للتلميذ في الوسط الأسري والمدرسي الجزائري أن الجو التربوي في الأسرة والمدرسة له علاقة ارتباطية طردية مع الإنجاز المدرسي (عبدي سميرة، 2011).

ونحن بدورنا، وعلى ضوء نتائج هذه الدراسات، وبعد طرحنا للسؤال حول ماهية الربط بين النجاح المدرسي للتلميذ وإمكانية إيجاد الطفل في الأسرة فرص اكتساب مهارة إحداث التدفق النفسي في أنشطته

السلوكية، وخاصة المدرسية منها، حددنا إجرائيا الأبعاد التربوية الكيفية المحددة لجودة الحياة الأسرية التي
عولنا على فحصها في هذه الدراسة وهي:

12- حرص الوالدين العالي / أو المتدني للطفل على تضخيم فرص المراجعة المدرسية في
المنزل.

13- يجد/ أو لا يجد الطفل في الأسرة دعم الوالدين الكافي والناجع، لمقاومة ضعف التركيز
وعدم القدرة على القيام بالعمل المدرسي في المنزل.

14- إن حضور الوالدين مكثف/ أو ضعيف في حياة الطفل، لمساعدة هذا الأخير على
مقاومة قلق المستقبل المدرسي.

15- لا يضايق/ أو يضايق التلميذ قلق الوالدين الزائد على أداء الواجبات المدرسية في
المنزل.

16- الطفل هو مع/ أو ضد انتقاد الوالدين لتصرفاته الشخصية.

17- الطفل مع/ أو ضد تدخل الوالدين في شؤونه الخاصة.

18- يضايق الطفل/ أو لا يضايقه عدم فهم الوالدين لمتطلباته الدراسية.

19- الطفل يرى/ أو لا يرى في متابعة البرامج التلفزيونية الكثيرة في المنزل سبب في تقصيره
لأداء الواجبات المدرسية في المنزل.

20- يضايق الطفل/ أو لا يضايقه شدة تداول اختلاف آرائه مع آراء الوالدين في كثير من
مواضع الحياة.

21- يضايق الطفل/ أو لا يضايقه كثيرا ضعف تقديم النصح والإرشاد بداخل الأسرة.

وبعد فحص هذه البنود للتعرف على مدى علاقة جودة حياة الأسرة بالتدفق النفسي لدى
طفلها في سلوكه المدرسي، بينت نتائج الدراسة وجود تفاوت له دلالة إحصائية عالية في جودة الحياة
الأسرية لصالح أسر المتفوقين دراسيا (تقريبا في كل الأبعاد المذكورة إجرائيا بنسبة 70% مقابل. إن هذه
النتيجة إن دلت على شيء إنما تدل على أن سبب التدفق النفسي المرتفع للمتفوقين في السلوك المدرسي
يرجع بقوة إلى جودة الحياة الأسرية العالية لأسرهم بالمقارنة مع أسر ضعفاء التحصيل الدراسي. كما تبين
في هذه الدراسة، من حساب قيمة بيتا في تحليل الانحدار بين جودة الحياة الأسرية وجودة الحياة

الاجتماعية والمدرسية والنفسية أن المتغير الأكثر تأثيرا على إحداث التدفق النفسي في النشاط المدرسي لدى التلميذ يتمثل في جودة الحياة الأسرية (قيمة الانحدار 0.295، وهي القيمة الأعلى). وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الأسرة، إذا كانت تمارس دورها التربوي الرائد، ذوي الجودة العالية في البعد الثقافي (قيمة الانحدار 0.009) والمدرسي (قيمة الانحدار 0,049) والاجتماعي (قيمة الانحدار 0,104)، فإنها تضمن لطفلها حظوظ واعدة لإحداث التدفق النفسي في الأنشطة السلوكية التي أدرك الطفل مع استيعابها في الأسرة جودة القدوة الحسنة ومهارة حسن التصرف في الحياة. وهذا ما يؤكد بقوة أهمية الأسرة من خلال دورها الرئيسي الذي يجب أن تلعبه في المجتمع لكي تنجح عملية التنشئة الاجتماعية للطفل.

المراجع:

1. لطفي عبد الباسط إبراهيم (2009)، " مقياس ضغوط الدراسة"، مكتبة الأنجلو المصرية،
2. محمد إسماعيل (1992)، " سوء التوافق الدراسي لدى المراهقين الجزائريين"، مطبعة الكهنة، الجزائر،
3. نادية شرادي (2006)، " التكيف المدرسي للطفل والمراهق على ضوء التنظيم العقلي"، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر،
4. عبدي سميرة (2011)، " الضغط المدرسي وعلته وسلوكات العنف والتحصيل الدراسي لدى المراهق المتمدرس" مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،

1/ Mihaly Csikzentmihalyi, 2011, « vivre la psychologie du bonheur », Editions Poket.

2/ David Servan Schreiber, 2007, « L'attention, de L'énergie pur », <http://www.psychologies.com>

3/ Cyril Tarquinio et Elisabeth Spitz, 1990, « Psychologie de L'adaptation », Editions de boeck.

4/ Gustave Nicolas-Ficher, (1999), « La dynamique du changement du pouvoir social », éd Dunod, Paris.

5/ Bruno.Devauchelle, (2003), « Les enseignants souhaitent l'équilibre entre le règlement et le projet éducatif », éd Etienne Martin.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث (المجلد 01 العدد 01 التاريخ 2021/05/30)

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Education and quality of life in the family in the light of psychological flow theory

**Prof. Sadjalmasi Mohamed Al-Amin
University of Tlemcen**

Summary :

In this paper, The researcher attempts to indicate in what way the family quality life promote the psychic flow investment in the child school behavior. The family education mobilize the psychic resources of the child starting from hedonic being to eudemonic adaptation which control orient and optimize the flow humans behaviors. The psychic child life consequently passes to superior notch.

Keywords: education, quality of life, family, psychological flow theory